القراءة والتأويل، وتعدد المعاني

Reading and interpretation, plurality of meanings.

د. ناصر بعداش

جامعة ميلة

ملخص : نحاول في هذا الطرح الإجابة عن بعض الأسئلة المتعلقة بتحديد وضبط بعض المفاهيم المتعلقة بالتأويل والقراءة التأويلية ومفهوم تعدد الدلالات، ومستويات كل منهما، وكذا الحدود الفارقة بين المصطلحات النقدية مثل التحليل والتفسير، ومفهوم التلقي، وهي مفاهيم شاع تداولها على نطاق واسع في هذا العصر، وما ذلك إلا لأهمية عنصر القراءة في الحياة الأدبية والنقدية، وهي القراءة التي تتجاوز الحروف وصولا إلى المعاني، مع قدرتها على تأويل المضمر وكشف الخفي، وبالتالي فالقراءة العميقة الناقدة تتضمن الفهم المباشر للنص المقروء الذي يشتمل التعرف على معاني بعض الكلمات المتضمنة لهذا النص، وليتم بعد ذلك القيام بعملية أخرى هي تفسير المقروء، وذلك بالتوصل إلى فهم شامل للنص ومحاولة التوصل إلى الدلالات والمعاني الخفية، ومنه:

- ما الغاية المرجوة من القراءة التأويلية؟ ومن هو المتلقي الذي يقوم بقراءة النصوص الأدبية ويتفاعل معها، ويعطيها حقها من التأويل؟
- وما الدافع إلى التأويل، أهو الغموض؟ أم ذلك التعقيد اللفظي والمعنوي في النص؟
- هل للقراءة دور في إنتاج المعنى؟

الكلمات المفتاحية: القراءة، القارئ، التأويل، المستوى، تعدد الدلالة.

Abstract: This paper attempts to answer some questions related to the definition and control of some concepts related to interpretation, hermeneutics, and the concept of multiplicity of connotations, at the levels of each of them, as well as the differences between critical terms such as analysis and interpretation, and the concept of receiving. These concepts are widely used in this era, and only because of the importance of the element of reading in literary and critical life, a reading that goes beyond the letters to the meanings with its ability to interpret the tacit and reveal the hidden. Therefore, a deep critical reading includes a direct understanding of the readable text, which includes recognition of the meanings of some of the words included in this text, and then the next process is the interpretation of the reader,

by reaching a comprehensive understanding of the text and trying to reach the hidden connotations and meanings, thus:

- What is the purpose of interpretive reading? Who is the recipient who reads literary texts and interacts with them, and gives them the right of interpretation?
- What is the reason for the interpretation is it: ambiguity or verbal and moral complexity in the text?
- Does reading play a role in the production of meaning?

Keywords : reading, reader, hermeneutics, level, multiplicity of significance.

مقدمة

تتعدد دلالات النصوص الإبداعية بحسب القراءات المسلطة عليها، فكلما كانت القراءة معمقة كلما كان الفهم أوسع وأشمل، وبالتالي فعملية إنتاج المعنى وكشف الدلالات ليست كامنة في النصوص الإبداعية ذاتها، إنما فعل القراءة هو القائم على ذلك، وقد تختلف نسبة الفهم للمعاني الخفية من قارئ لآخر، وذلك بحسب الثقافة التي يتمتع بها هذا القارئ، فكلما كانت سعة الاطلاع كان الفهم معمقا يلج مجاهيل النص ومغاليقه، ومن جهة أخرى قد تختلف القراءة وفهم الدلالات العميقة عند قارئ واحد، وذلك عندما يختلف مزاجه عند كل قراءة كاشفة، ومن هنا نستطيع أن نقول بأن هناك قراءات عديدة ومختلفة؛ كالقراءة السطحية والقراءة العميقة، والقراءة الفاحصة وغيرها من القراءات التي تؤدى مع التأويل للوصول إلى المعاني التي أراد المبدع إخفاءها خلف وشاح الفن.

1 - فعل القراءة

يختلف الحديث عن القراءة باختلاف آراء الدارسين لهذا المصطلح، ولذلك تعددت تعريفاتها بحسب اختلاف وجهات النظر، وبالتالي فالتركيز على كنهها من الطرق المؤدية إلى احتواء هذا المفهوم، فمهارة القراءة عملية إدراكية تشتمل على مجموعة معقدة من المهارات المترابطة، إنها فعل لمعالجة المعلومات تتجلى في " قدرة المتعلم على القيام بتحويل خطاب مكتوب إلى خطاب منطوق ومسموع مع اتباع مجموعة من القوانين والقواعد المتعارف عليها"[(1)]، والقراءة "فعل ملموس يتكون من جملة افتراضات وآمال وخيبات وأحلام تعقبها يقظات..."[(2)]، وبذلك تكون القراءة في أبسط تعريفاتها هي ذلك الفعل الذي يقوم به المتلقي تجاه النص الإبداعي الذي وصل إليه، ويتم ذلك من خلال تتبع كلماته المتناثرة عبر الصفحات، وهي كذلك ذلك النشاط الذي يقوم به القارئ للنص الذي توارت دلالاته، ليبحث عنها بقراءة ما بين السطور، حيث يحاول القارئ تحليل النص، ومنه ينقسم الفعل القرائي إلى مستويات أطلق عليها فيما بعد "قراءة السطور، وقراءة ما بين السطور، وقراءة

ما وراء السطور"[3]، وهنا تتجلى أهمية القراءة العميقة التي تتكشف خلالها الدلالات وتنساب انسيابا، كما يبرز دور التأويل فيما بعد.

كل التعاريف يقوم بهما المتلقي الواحد أو المتعدد، وقد يكون أحد التعريفين أكثر حضورا من الآخر في مرحلة من المراحل من دون أن يعني ذلك إقصاء التعريف الآخر، ولقد تطور المفهوم السائد للقراءة على أنها الرموز المكتوبة، وهي بذلك كلمات وجمل يستعملها الإنسان للتواصل، ثم "تطور هذا المفهوم مرة أخرى بأن أضيف له عنصر آخر هو تفاعل القارئ مع النص المقروء بحيث يستطيع أن يتذوقه وينقده، أي يصدر عليه حكما سواء إيجابا أو سلبا"[4]، هذا التفاعل مع النص المقروء قصد تذوقه يستدعي استحضار القراءة العميقة الناقدة، وهي مصطلح شاع استعماله في هذا العصر نظرا للاهتمام الكبير بردود الأفعال التي تصدر عن القراء وتفكيرهم حول المعاني المكتوبة، وهي أيضا "عملية تقويم للمادة المقروءة والحكم عليها في ضوء معايير موضوعية، مما يستدعي من القارئ فهم المعاني المتضمنة في النص المقروء، وتفسير دلالاته تفسيرا منطقيا مرتبطا بما يتضمنه من معارف"[5]، وبهذا يكون النص الأدبي مختلفا عن غيره من النصوص؛ فهو النص الناقص غير التام وغير المنتهي ما دام أنه مع كل قراءة جديدة وقارئ جديد تعاد كتابته من جديد، ويعاد تأويله من جديد، وهنا تبرز فاعلية العلاقة بين القراءة والكتابة، وأقصد بالقراءة هنا القراءة العميقة للنص التي تتجاوز الحروف للمعاني، والقدرة على التأويل التي تعيد له نبض الحياة، وبالتالي فالقراءة العميقة الناقدة تتضمن الفهم المباشر للنص المقروء الذي يشتمل التعرف على معاني بعض الكلمات المتضمنة لهذا النص، وليتم بعد ذلك القيام بعملية أخرى هي تفسير المقروء، وذلك بالتوصل إلى فهم شامل للنص ومحاولة التوصل إلى الدلالات والمعاني الخفية، لنأتي في الأخير إلى تقويم المقروء و إصدار بعض الأحكام، بالإضافة إلى ذلك فعملية القراءة لا تقتصر فقط على إدراك الأصوات أو الفهم، وإنما هي عملية فك التسنين والتجميع التي تعطي دلالة ومعنى لتعبير لساني جديد، وهذا لا يتحقق إلا إذا كانت عمليتا فك التسنين والتجميع ممكنتين"[6].

2 - القراءة وتعدد الدلالات

إن التركيز على مهارة القراءة في هذا العصر من الأولويات الكبرى لفهم وشرح النصوص، وذلك لكونها أسلوبا من أساليب النشاط العقلي في حل المشاكل وتكوين فكر ناقد وقادر على إصدار الأحكام، بما يتيح فرصة الاستمتاع التي تكون متنفسا لبعض الميولات والرغبات والاهتمامات. ونحن في هذه الورقة نركز على القراءة العميقة الناقدة التي لا تقف عند مجرد تعرف معاني النص المقروء، بل تتعداه إلى الاندماج والتفاعل واستنتاج الدلالات الخفية التي أرادها المبدع، وبالتالي يمكن لنا أن

نميز مرحلتين من مراحل القراءة، تتمثل الأولى في القراءة الأولية أو السطحية، والتي هي عبارة عن استكشاف أولي للنص حيث لا تكتشف فيه الدلالة بصفة نهائية، وتتهيأ النفس للتفاعل مع النص المقروء، لأن مقصد القارئ هو الدلالة ومعرفة المعنى الظاهري فقط، وتتمثل الثانية في القراءة العميقة التي تأتي بعد الأولى مباشرة، وفيها يتم التفاعل بين المتلقي والنص الإبداعي، فيتحول القارئ من مستكشف ومتذوق إلى منتج يفك شفرات النص ويحل عقده من أجل إزالة الغموض والغوص إلى أعماق النص ومجاهيله، واستكشاف الدلالات وإعادة تفسيرها وتأويلها، "فتخرج إثر ذلك القراءة من عملية الاستهلاك إلى عملية الإنتاج، وذلك بعد أن تقوم القراءة بعملية تصنيفه في سياق يتقاطع أو يلتقي مع ما يناظره أو يشبهه من النصوص التي تكون له مكانا وفضاء بفعل التطريس معها، فيتنفس من خلالها باستدعاء المنظور الذهني الغائب"(7). عندما يصير القارئ منتجا تكون قراءته العميقة مبنية على وعي وإدراك وفهم وثقافة، فتكون هذه الثقافة هي الدعامة الأساسية التي تقويها لتغدو قراءة منتجة تخرج النص في قالب جديد بنظام محكم، وبالتالي تكون عملية القراءة قائمة على التفكيك والبناء ضمن مستويات عدة، منها الحسي ثم مستوى التعريف بما أشكل من دلالات، ليأتي بعد ذلك مستوى الفهم ليكون مستوى التفسير والتأويل بعد ذلك.

إن فعل القراءة لا ينعزل عن ذات القارئ، ولكي يصبح ذلك الفعل إيجابيا يتوجب على القارئ أن ينظر إلى النص عبر مسافة تضمن المغايرة بينه وبين النص، لأن المؤَوِّلَ الذي يتناول النص لا يتناوله إلا عبر نوع من التماهي والامتزاج، ذلك لأن كل قارئ لنص أو لنصوص عديدة ومختلفة، لا يقرؤها إلا لأجل أن يكتشف ذاته فيها، وبالتالي يُعَمِّقُ معرفته بنفسه، ومن ثم تصبح القراءة نوعا من ذوبان الذات في الموضوع، وبالتالي فإن الاهتمام بفعل القراءة بدأ بالتشكل والظهور حين راح ضعف المناهج النقدية القديمة التي كانت تستوحي من النظريات التي تهتم بالأشكال المجردة فقط، ثم راح هذا الاهتمام يتزايد بمقدار ما كان يكبر وعي بعض النقاد بأنه من العبث أن يلخص النص الأدبي بسلسلة من الأشكال المجردة كما كانت تقترح الدراسات البنيوية، وبذلك أصبح الكتّاب ذا منحى آخر لا يمكن أن يقتصر على الكشف عن بنيته الهيكلية العميقة، أو على البحث عن الوشائج القائمة بينه وبين مؤلفه، ولكنه يفرض علينا أن نحلل علاقات التأثير والتأثر بين الكاتب والقارئ.

ونحن في هذه الدراسة سنتطرق إلى عملية القراءة والتلقي والتأويل ليس على مستوى الدراسات النقدية، وإنما سنتتبع مستويات تلقي المبدع للنصوص الإبداعية ابتداءً من علاقته بالعالم الخارجي ومحاولة تأويل هذا العالم ونقله للقارئ المتلقي، الذي يتلقاه بطريقته انطلاقا من زاوية رؤيته لهذا العالم، ولذلك فإن القارئ / المتلقي يكون مطالبا بالتركيز على طبيعة الرسالة التي يوجهها المبدع، هذه

الرسالة التي تتصف بطابع التخفي والتواري، بمعنى أنها تتضمن معنى مضمرا وآخر ظاهرا، وما على المتلقي إلا استيعاب الظاهر وتأويل المضمر، ولتحقيق ذلك ينبغي على المتلقي أن يتعامل مع الرسالة (النص) كبنية شمولية، فيفهم دلالاتها من سياق النص وليس عن طريق عملية الإسقاط على النص، لأن القراءة التأويلية أنواع منها: قراءة نصية تتناول النص في ذاته ولاشيء غير النص، بحيث إن القارئ يتعامل مع النص، ثم يرحل إلى تأويل لغة النص؛ متقصيا الدلالات والحمولات الفكرية التي يوحي بها، ومنها قراءة تناصية، ومنها قراءة تداولية وهي قراءة تخضع لتأثير المحيط الخارجي.

3 - النص بين التأويل وثقافة القارئ

يلقي النص بعبء دلالاته على القارئ، لتبدأ عملية جديدة تنطلق من فعل القراءة التي تتحكم فيها ثقافة القارئ، فكلما كان هذا الأخير واسع الثقافة انعكس ذلك على فعل القراءة والتأويل، لأن المبدع وقت إنتاج النص ينقل المحيط الخارجي بكامل تجلياته بطريقة أدبية تقوم على مكونات العمل الأدبي التي تميز النصوص الإبداعية عن باقي النصوص، ثم يخرجه إخراجا جديدا بلغته الخاصة، حيث إنه ينطلق من الدلالة التي أرادها المبدع، ليصل إلى إعطاء النص تفسيرات جديدة، و بذلك يكون القصد من هدم النص و بنائه الوصول إلى مقصدية المبدع، وهكذا يتمكن القارئ من إعادة إنتاج هذا العالم الخارجي من خلال قراءة وتأويل العمل الأدبي، في ضوء رؤيته إلى العالم ومن خلال الأيديولوجية التي يؤمن بها، فيصبح القارئ الناقد مبدعا ثانيا من نوع آخر على حد تعبير مرتاض: "فبأي حق أم أي حجة يتسلط النقد على النص الأدبي، وينصب نفسه قاضيا عليه مع إنه هو ذاته مجرد مظهر آخر من مظاهر الإبداع الأدبي الخالص الأدبية، إذ لا يستطيع النقد الحق إلا أن يكون مكملا للإبداع، أي مجرد وجه من وجوهه..."(8).

تختلف النصوص الأدبية باختلاف كتابها وتوجهاتهم، فكل نص يحمل في طياته صعوبات ومشاكل جمة، وتنشأ فرضية الصعوبة في النص الشعري مثلا على حد تعبير بشبندر "عن مجموعة من الافتراضات، أولا أن لغة الشعر صعبة في حد ذاتها، وثانيا أن ثمة رسالة مختبئة في مكان ما من هذه اللغة الصعبة، ولا يمكن رؤيتها بالعين المجردة..."(9)، ولا يمكن مواجهة تلك الصعوبات والمشاكل في النص الأدبي إلا بالقراءة، ولذلك أصبح من المقرر أن القارئ هو الذي يتم إنجاز النص ويعطيه تحققه الفعلي، لأن عملية الكتابة تفترض عملية القراءة، وبالتالي فإن القراءة موازية للكتابة في إنتاج النص وتفعيله، بل إن القراءة يمكنها - مع تطور الأزمنة وتمازج الثقافات - أن تحقق المزيد في الإنتاجية النصية لأنها تُشرك معرفة القارئ بمعرفة المبدع فتخصب العمل بطريقة حركية متجددة، ومن ثم فهي تتجاوز ما يبوح به النص، لتصل إلى ما أخفاه في ثناياه وعبر فضاءاته.

إن دور القارئ هو تنشيط الحوار البناء مع النص من أجل تطوير فن القراءة وفن الكتابة معا، والقارئ الفعَّال تحكمه شروط ثقافية تسمح له بتحريك آليات النص؛ ولهذا السبب يقول أمبرطو إيكو: "أنا بحاجة إلى قارئ يكون قد مر بنفس التجارب التي مررت بها في القراءة تقريبا"(10)، وهذا يعني أن القارئ مقارب للكاتب في معرفة سر الإبداع وحقيقته، و بهذا أصبح للقارئ الدور الكبير والاهتمام البالغ في عملية القراءة والتأويل، وعلى القارئ المتمكن من أدواته و إجراءاته أن يتوقع بأن كل العناصر التي يحويها النص، ستصبح ذات دلالة خاصة ضمن التشكيلة الجديدة التي يخلقها القارئ عبر قناة التأويل، وبتشغيل فعل القراءة العميقة سيعيد النظر في قيمها السابقة كي يعطي النص بنية جديدة.

4 - المعنى الخفي

قد يقصد المبدع شيئا ونتوصل من خلال قراءتنا إلى عكس ما أراده، هنا يصبح التأويل عبارة عن عملية القراءة العميقة للنصوص الإبداعية من خلال قراءة ما بين السطور، ويعني أيضاً قراءة المناخ العام للنص وكل المضمرات المستبطنة في ظلال الكلمات الظاهرة بتفسير معانيها، وهو بوصفه مستوى أعلى من مستويات القراءة المعتادة، ومستوى أعلى من مستويات التفسير فإنه ضرورة خاصّة في سياق التعامل مع مختلف النصوص العربية ذات العلاقة المميّزة بالمجاز بمستوياته وأنماطه كافّة، و منه فالتأويل ممارسة لفعل القراءة في مستوياتها المعقدة، وبالتالي فهو توجيه معين لإنتاج معان معينة من خلال الاعتماد على كل المعطيات، ووفق الشروط التي يمليها النص "مما يحتم أن ينسجم التأويل بوصفه توجيها للاحتمال مع معطيات النص الموحية"(11).

إن مفهوم التأويل في هذا العصر قد أصبح على درجة كبيرة من التعقيد، بحيث استعصى على الدارسين تحديد مفهوم شامل يغطي كنه هذا المصطلح، كما إنه أصبح ظاهرة حداثية في كل السياقات، وإن كان السياق الديني هو السَبَّاقُ في ذلك، إذ ساهم التأويل مساهمة فعالة في فهم آيات القرآن الكريم، حيث حدثت معركة فكرية عبر العصور حول منهج التأويل، ومن الواضح تاريخيا أنه منهج علمي إسلامي عام، وقد ورد في القرآن الكريم في سبع سور وتكرر لفظ "التأويل" في بعض السور مرات عديدة، إذ نجده في سورة الأعراف والإسراء والكهف وسورة يونس ويوسف، ثم آل عمران والنساء.

5 - تعدد المعاني

إن المعاني الخفية التي أراد المبدع إخفاءها تتكشف بمجرد ملامستها تخوم القارئ، وأقصد هنا القارئ الواعي صاحب الثقافة الواسعة، لأنه الوحيد القادر على التوصل إلى المعنى ويوصله هذا المعنى إلى معنى جديد، وبهذا تتعدد دلالات النص من قارئ إلى قارئ آخر، وبحسب نوعية القارئ المتعددة، وحتى القارئ الواحد يمكن أن تتعدد الدلالات عنده مع كل قراءة متجددة، وهذا باختلاف المزاج في كل يوم ومع كل قراءة جديدة للنص نفسه، ومنه فالنص له معنى، ومعنى المعنى، فالمعنى يكون المفهوم السطحي الظاهر من اللفظ يصل إليه القارئ دون واسطة، أما معنى المعنى وهو أن نتوصل من اللفظ ونعقل منه معنى ثم يوصلنا ذلك المعنى إلى معنى أو معاني أخرى، ولا يتحقق ذلك إلا بوجود قراءة فاحصة عميقة أو قراءة تأويلية تهتم بما هو أكثر من المتواليات اللفظية، فالمبدع قد حدد من قبل معاني كلامه، ليأتي القارئ ويبحث عن معنى المعنى من خلال الألفاظ ودلالاتها، ويؤكد الجرجاني في "دلائل الإعجاز" على حضور سلطة المتكلم وقصديته، لأنه هو الذي يحدد معاني كلامه سلفاً، ويترتب عند ذلك أن المتلقي ليس له دور في إضفاء المعنى، ويبقى عليه أن يبحث عنه من خلال اللفظ ذاته، "فحتى وجود التخيل في الشعر، لم يكن ليمنع الجرجاني من الاحتفاظ الدائم بحضور المقصدية في الكلام الابتدائي، فالتشبيه والاستعارة كلها تستدعي تأويلاً لا يقود إلى ابتكار المعاني الخاصة بالقارئ بل إلى استخراج المعاني التي وضعها المتكلم وراء ألفاظه"[12]، وبالتالي فالقارئ يعيد تكوين وبناء النص احتكاما إلى ما تسمح به علاقاته المتعددة تركيبا ودلالة، ثم استحضارا لما تخفيه كل الملفوظات التي يتكون منها، والمبدع ينتهي دوره بمجرد كتابة الحرف الأخير من النص، ثم سرعان ما يدخل في مرحلة جديدة في أحضان المتلقي الذي يخرجه إخراجا جديدا.

وفي وحدة النص نجد رولان بارت يشير الى ذلك بقوله: "إن وحدة النص ليست في منبعه وأصله، وإنما في مقصده واتجاهه"[13]، من هذا المنطلق فإن رؤية النص اتخذت مسارا معرفيا باتجاه تخريج النصوص تخريجا تأويليا، وأصبح الدخول المعرفي إلى الحقيقة التي يستدعيها النسق الكلي للنص يبدأ بتخطي فعل الكتابة نحو امتلاك المعنى، وأن "المعنى لا يشكل شيئا خارج اللغة، خارج لغة الكلمات فإنه مرتبط إذا لم نقل بهذه الكلمة أو تلك، وبهذا النسق للغات أو ذلك، فعلى الأقل بإمكان قيام الكلمة بعامة وببساطتها غير القابلة للتذويب"[14]، إنه – المعنى - كائن حركي داخل النص، يختفي وراء الكتابة ويترك رموزا تبقى بمثابة المفاتيح التي تقرب الفهم من خلال القراءات العميقة التي تؤول ما نفكر فيه، ونحن "لا نفكر بعد، لأن ما يجب التفكير فيه يعرض عن الإنسان وليس لأن هذا الأخير

لا يلتفت بما فيه الكفاية نحو ما يجب التفكير فيه... إلا أن هذا الذي اختفى محتفظا بنفسه قد كان دائما ولا يزال ماثلا ومعروضا"[15]، ومنه فالمعنى الخفي هو الصيغة المشتركة بين القراءة والفهم.

إن ما ينتج المعنى ليس النص بذاته، بل هو القراءة المستعادة في شكل اللغة، وتحديد نوع القراءة المطبقة على النص يفترض "نسقا خاصا من المفاهيم والإجراءات التنظيمية حتى تميز القراءة من الكتابة، هذا مع أن القراءة هي كتابة ثانية... لكن اختيار هذا المنحى في القراءة والتأويل لا يمنع من وضع جهاز مفاهيمي افتراضي على سبيل التعليمية..."[16]، وبالتالي فإن انفتاح الذات على هذا العالم يستدعي حضور التأويل، "فالهرمينوطيقا تتخذ من الكتابة وضعية أولى لفتح الذات على الوجود، بواسطة تأويل الرموز التي تتوسط العالم والفهم، فعالم النص هو العالم الذي تعطى فيه الحقيقة للفهم، وكذا لرصدها عن قرب في ثنيتية الكتابة..."[17]، ومن ثم تصبح مهمة الهرمينوطيقا هي: "البحث داخل النص نفسه من جهة، عن الدينامية الداخلية الكامنة وراء تبنين العمل الأدبي، ومن جهة ثانية البحث عن قدرة هذا العمل على أن يقذف نفسه خارج ذاته ويولد عالما يكون فعلا هو "شيء النص" اللامحدود، إن الدينامية الداخلية والانقذاف الخارجي يكونان ما أسميه عمل النص، ومن مهمة الهرمينوطيقا أن تعيد تشييد هذا العمل المزدوج للنص"[18].

إن الشيء الذي لا يمكن أن يتوارى عن الممارسة الفعلية لعملية القراءة هو أن "عملية التأويل ذاتها ليست بالعملية الواضحة دائما والبعيدة عن التعقيد في كل حال، بحيث تقبل نتائجها دائما بدون أي اعتراض"[19]، وبذلك يكون التأويل من المقاصد التي يقصدها الدارس في غير خروج عن المألوف والمعتاد، وبالتالي فالمقاصد التي "يتغياها المستخدم للنص تخالف طريق المؤول الذي عليه أن يخدم النص لا أن يستخدمه، وأن خدمة النص أو تأويله التأويل المعتبر، بحسب الشاطبي، ينبغي عليها لكي تكون كذلك، أن لا تخرج عن طريق كلام العرب ومعتادهم في الخطاب، ينبغي على القراءة لكي تكون خدمة للنص لا استخداما له أن تحترم موسوعتهم"[20]، وبالتالي فالخروج عن ذلك، وعدم احترام النص بعدم اعتبار رصيده الثقافي، والاستسلام إلى حرية القارئ المطلقة، حتى ولو كان القارئ تفكيكيا معاصرا إلى الحد الذي تصبح فيه كل التأويلات مسموحا بها"، لا يؤدي إلى التشكيك في هذه التأويلات الناتجة عن هذا النوع من الممارسة، ولكن إلى التشكيك في طبيعة الدلالة ذاتها، ذلك "يفقد الدلالة المحددة بوصفها كلية خصوصية"، ويجعلها بالتالي مفرغة من أي محتوى يمكن أن يكون أساسا يعتمد عليه، مما يسهل من إمكانية خلخلة انسجام النص، ومن ثم الإجهاز على حقوقه لحساب حقوق القارئ"[21].

إن الدور المنوط للمؤول هو إزالة اللبس وفتح طريق جديد نحو النص بما يخدم بقية الدارسين أي بإنتاج فهم معين من خلال دلالات معينة يمكن تقاسمها مع الآخرين، وإذا كانت كل الطرائق المتبعة في المقاربات النصية التي تميز بين العالم المتخيل والعالم المتحرك من ضمن شبكة التأويلات المختلفة، فإن المؤَوِّل مطالب باحترام مقتضيات النص أي بدراسته في شكله، وباحترام مقتضيات الفهم أي بتتبع حركية المعنى ومحاولة الوقوف على الحقيقة المختفية خلف الدلالة، وبذلك تكون المراحل التي يتبعها المؤول، المرحلة الوصفية والتفسيرية ثم التأويلية ومرحلة التقييم.

خاتمة

وصفوة القول فإنه يمكن القول بأن التأويل يتطور بتطور فعل القراءة ومدى عمقها، ومهما تكن الإجراءات أو الخطوات التي يتبعها فهو يستهدف استنطاق النص واستخلاص المعنى الذي هو الخطوة الأولى نحو الفهم، وبناء المرجعية التي هي الخطوة الأولى للتفسير، والتراوح بين الفهم والتفسير هو الحركة الدائبة للتأويل في جميع الأوساط والمجالات.

تأويل النص غايته أن يؤول من أجل الوصول إلى معناه أو إلى معنى فيه.

تحول النظرة الخاصة بالقارئ وفعل القراءة في الدراسات الحديثة.

إن القراءة العميقة تتجاوز المنصوص عليه، والمتلفظ به، وبذلك قرأ في العصور القديمة ابن عربي النص المقدس وتعامل معه، وبذلك قرأ أيضاً ميشال فوكو ديكارت فكشف الوجوه الأخرى للعقل الديكارتي.

---

[1] بوشوك بن عبد الله المصطفى: تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها، دراسة نظرية وميدانية في تشخيص الصعوبات – اقتراح مقاربات ومناهج بناء تصنيف ثلاثي الأبعاد في الأهداف اللسانية. ص: 280.

[2] رشيد بن حدو: قراءة في القراءة، مجلة الفكر المعاصر، عدد 48 – 49، 1988، ص: 14.

[3] محمد حبيب الله: أسس القراءة وفهم المقروء، بين النظرية والتطبيق، التطبيق في تطوير مهارات الفهم والتفكير والتعلم، دار عمار، ط 2، عمان، 2004، ص: 59.

[4] سعيد عبد الله لافي: القراءة و تنمية التفكير، عالم الكتب، ط 1، القاهرة، 2006، ص: 11.

[5] المرجع نفسه، ص: 68.

[6] Muchelli R. Bourcieara, LA DYSLEXIE MALADIE DU SIECLE, LES EDITIONS ESF, N° de réf. du libraire 9036, 1984- 1985, P48

[7] فاضل ثامر: اللغة الثانية، في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص: 44.

[8] عبد المالك مرتاض: دراسة سميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1، بن عكنون، الجزائر، 1992، ص: 14.

[9] ديفيد بُشبندر: نظرية الأدب المعاصرة وقراءة الشعر، تر. عبد المقصود عبد الكريم، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، ص: 13.

[10] U. Eco :Lector in Fabula. Paris 1985, P: 11.

[11] يحي رمضان: القراءة في الخطاب الأصولي، عالم الكتب الحديث، ط 1، عمان، 2007، ص: 348.

[12] حميد لحمداني: المقصدية ودور المتلقي عند عبد القاهر الجرجاني، في: قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزء الأول، فاس، 2000، ص: 148.

[13] رولان بارت: درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بن عبد العالي، دار طوبقال للنشر، ط 2، المغرب، 1986، ص: 87.

[14] جاك دريدا: الكتابة و الاختلاف، تر: كاظم جهاد، دار طوبقال للنشر، ط 1، المغرب، 1988، ص: 121.

[15] مارتن هايدغر: التقنية. الحقيقة. الوجود، تر.محمد سبيلا، عبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، بيروت، 1995، ص: 194.

[16] عمارة ناصر: اللغة و التأويل، منشورات الاختلاف، دار الفارابي، ط 1، الجزائر، 2007، ص: 43.

[17] المرجع السابق، ص: 21.

[18] بول ريكور: من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، تر:.محمد برادة، حسان بورقبة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، القاهرة، 2001، ص: 25.

[19] يحي رمضان، مرجع سابق، ص: 349.

[20] المرجع نفسه، ص: 470، 471.

[21] المرجع نفسه، ص: 477، 478.

قائمة المصادر و المراجع

أولا- المراجع بالعربية

1- بوشوك بن عبد الله المصطفى: تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها، دراسة نظرية وميدانية في تشخيص الصعوبات -اقتراح مقاربات ومناهج بناء تصنيف ثلاثي الأبعاد في الأهداف اللسانية.

2- حميد لحمداني: المقصدية ودور المتلقي عند عبد القاهر الجرجاني، في: قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزء الأول، فاس، 2000.

3- رشيد بن حدو: قراءة في القراءة، مجلة الفكر المعاصر، عدد 48-49، 1988.

4- سعيد عبد الله لافي: القراءة و تنمية التفكير، عالم الكتب، ط 1، القاهرة، 2006.

5- عبد المالك مرتاض: دراسة سميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1، بن عكنون، الجزائر، 1992.

6- عمارة ناصر: اللغة والتأويل، منشورات الاختلاف، دار الفارابي، ط 1، الجزائر، 2007.

7- فاضل ثامر: اللغة الثانية، في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت.

8- محمد حبيب الله: أسس القراءة وفهم المقروء، بين النظرية والتطبيق، التطبيق في تطوير مهارات الفهم والتفكير والتعلم، دار عمار، ط 2، عمان، 2004.

9- يحي رمضان: القراءة في الخطاب الأصولي، عالم الكتب الحديث، ط 1، عمان، 2007.

ثانيا- المراجع المترجمة

1- بول ريكور: من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، تر:.محمد برادة، حسان بورقبة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، القاهرة، 2001.

2- جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، دار طوبقال للنشر، المغرب، ط 1، 1988.

3- ديفيد بُشبندر: نظرية الأدب المعاصرة وقراءة الشعر، تر: عبد المقصود عبد الكريم، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005.

4- رولان بارت: درس السيميولوجيا، تر عبد السلام بن عبد العالي، دار طوبقال للنشر، ط 2، المغرب، 1986.

5- مارتن هايدغر: التقنية. الحقيقة. الوجود، تر: محمد سبيلا، عبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، بيروت، 1995.

ثالثا: المراجع الأجنبية

1- Muchelli R. Bourcieara, (1984- 1985) LA DYSLEXIE MALADIE DU SIECLE, LES EDITIONS ESF, N° de réf. du libraire 9036.

2- U. Eco: (1985) Lector in Fabula. Paris.